أصـــول العقـائد

عبد الحميد كشـك

www.akademya.net

بسم الله الرحمن الرحيم

● **المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين خالق الاكوان ومعلم الانسان البيان وخالق الشمس والقمر بحسبان وله النجم والشجر يسجدان واشهد ان لا اله الا الله احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا بيده الأمر كله ولله غيب السموٰات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير.

واشهد ان محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بلغ الرسالة وادى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى اتاه اليقين.

وصلوات الله وسلامه عليك يا مبعوث العناية الالهية وشمس الهداية الربانية وبعد.

فهذا كتاب اقدمه للعاملين فى مجال الدعوة عسى الله تعالى ان ينفعنا بما فيه ويرزقنا علما ينفعنا وعملا يرفعنا انه نعم المولى ونعم النصير وبالاجابة جدير وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلـف

عبد الحميد كشـك

صور من عظمة الخالق

ونحن بصدد الحديث عن الايمان بالله وقضية الالوهية كما جاء ذلك فى آية البر وفى جانب العقيدة بها رأينا من باب الأمانة العلمية ان نزيد تلك القضية أدلة قاطعة وبراهين ساطعه فاننا سنعرض لنظرات فى سورة النحل لما فى ذلك من اثبات قاطع للقدرة الباهرة وبين يدى هذه القضية نسأل لماذا سميت تلك السورة سورة النحل مع اشتمالها على موضوعات شتى ذلك لأنها بالتعبير الحديث مؤسسة اقتصادية عظمى التقت فيها شتى الثروات الالهية.

فمن الثروة البشرية الى الثروة الحيوانية الى عالم النبات الى مؤسسة الفلك الى دنيا البحار ومعادن الأرض وعلم طبقاتها الى مؤسسة صناعية شامخة القلاع فمصانع الالبان ترفع لواءها وصناعة الحلوى من النخيل والاعناب تشمخ بأنفسها والشهد الصافى يدل على صفاء قلوب المؤمنين وعالم الاجنة ينطق بأنه مخلوق للواحد الديان والطير تسبح فى جو السماء تُسبِّح الواحد.

«والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه» وعالم الاسكان يهيمن عليه جو من الهدوء والسكينة وتنتقل الآيات الى صناعة

جلود الانعام وما تحويه من ثروات كامنة فى الاصواف والاوبار والاشعار الى غير ذلك من الآيات الباهرة ولما كان ذلك كله يكوِّن من ثروة اقتصادية مختلفة الألوان والمشارب فان النحلة عالم اقتصادى بارع وصادق ومخلص لأنه يأخذ القليل من رحيق الزهر والثمرات ثم يعطى الكثير والكثير فهو معطاء كريم يشهد له الجميع بحسن التدبير والحكمة لاسيما فى بناء بيوته ، ومن هنا فقد سميت السورة بأغرب شيىء فيها وأعجبه ألا وهو عالم النحل ومملكته الشامخة الباذخة الراسخة التى سنعرض لها بالتفصيل فى مواطنها.

تأمل فى نبات الارض وانظر
الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات
بأبصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

أيها القارىء الكريم :

إذا أيقن العبد بربه وعرف حقه من الوحدانية الخالصة استقرت

نفسه وثبتت تجاه تيارات الحياة وعواصفها بكل بروقها ورعودها ورياحها ورمالها ومن ثم فان القرآن الكريم يفتح مدارسه المباركة ليوجه الى القلوب اضواء الوحدانية ودلائل القدرة حتى يبنى النفوس بناءاً سليما ويشيدها على تقوى من الله ورضوانه ولسوف نعرض الآن لبعض هذه المدارس فى سورة النحل لنرى كيف قامت الأدلة القاطعة والحجج الساطعة على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته.

ففى سورة النحل نطقت الأدلة بوحدانية الله وقدرته فى شتى المجالات الكونية والأفاقية والانفسية شوامخ راسيات ورواسى ثابتات لا تحركها العواصف ولا تؤثر فيها الرياح القواصف.

اسمع الى القرآن الكريم وهو يبدأ هذه السورة بهذا الانذار الذى يدعو كل عبد للاستعداد الى لقاء الله فلقاء الله حق واقع ولتؤكد وقوعه عبر عنه بلفظ الماضى كأنه قد وقع لان الله لا يخلف وعده (أتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) الذى تنزل به الملائكة وأنه كالروح يحيى الموتى وينزل غضا نديا يتقاطر نورا ورحمة ليعلم البشرية جمعاء انه لا معبود بحق الا الله فيقول سبحانه (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عبادة أن

أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون).

ولقد صدقت يا سيدى يا رسول الله حين اعلنت قولك «أفضل ما قلته انا والنبيون قبلى : (لا إله إلا الله).

بعد ذلك تأخذ السورة الكريمة طريقها فى ذكر حشد من الأدلة المتنوعة والناطقة بالوحدانية والقدرة فيقول سبحانه «خلق السمٰوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون) ففى هذه الآية المباركة يذكر أن العالم من عرشه الى فرشه ومن سمائه الى أرضه مخلوق بالحق لا لهوا ولا باطلا ولا عبثا ولا لعبا وانما بالحق قامت السمٰوات والأرض «وماكنا عن الخلق غافلين».

وتعالى الله وجل جناب الحق ان يكون له شريك يناقشه الحساب فهو الواحد العادل الحكيم المريد.

وبعد ذكر العالمين : العلوى والسفلى ينتقل الى خلق الانسان فيقول سبحانه (خلق الانسان من نطفه فاذا هو نعيم مبين) فالانسان سر الله فى أرضه ومعجزته التى حارت الافكار فيها يقول الله تعالى «فلينظر الانسان مم خلق من ماء دافق».

فماذا كان من الانسان بعد ذلك، قف ياأخى وقفة تدبر،فكر فى هذا النص المبين «فاذا هو خصيم مبين» يقول علماء اللغة ان «اذا» حرف يفيد المفاجأة فهو بذلك يدل على أن خروج الانسان من اصله اللائق به نحو الله يعتبر أمرا غير مألوف مما كان ينبغى من الذى خلق من نطفة مهينة ان يفاجىء بالخصومة والخصومة لمن؟ لخالقه ورازقه ومنشئه يقول تقى الدين الحسن البصرى عجبت لابن ادم يتكبر على الأرض وهى التى تناديه بلسان حالها يا ابن ادم لا تتكبر على ظهرى لاننى غدا سأضمك فى بطنى كيف تتكبر يا ابن ادم وهو الذى أوله نطفه مذره واخره جيفة قذرة وهو ما بين هذا وذاك يحمل فى بطنه العذرة تؤذيه بقة وتنتنه عرقة وتميته شرقه كيف تعلن الخصومة على الله يا ابن ادم وانت الذى نزلت من مجرى البول مرتين مرة وأنت ماء مهين من أبيك واخرى وانت طفل من رحم أمك،عليك أن تذكر هذا اولا ولا تنسين انك حفنة من التراب فى البداية والنهاية «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى».

هـذا خـلق اللـه

لقى سفيان رضى الله عنه أمير المؤمنين هارون الرشيد راكبا فرسه فقال له يا هارون اتق الله فنزل هارون عن فرسه وخر ساجدا لله فلما رفع رأسه سأله أحد الناس فقال سجدت لأننى تذكرت قوله تعالى: «واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد» فأردت بسجودى أن ألقن نفسى درساً فى معرفة الله حتى اذا غرتنى قوتى على ظلم الناس تذكرت قوة العزيز الجبار من فوق وهارون هذا هو الذى لما مرض واستدعوا له الطبيب أخبره الطبيب أن يستعد بالتوبة للقاء الله فقال هارون قولته المشهورة :

إن الطبيب له علم يدل به

ما دام للمرء فى الأيام تأخير

حتى اذا ما انتهت أيام رحلته

حار الطبيب وخانته العقاقير

وهارون هذا هو الذى قال لهم «احملونى لأرى قبرى الذى سوف أدفن فيه فلما وصل الى هناك توجه الى السماء وقد فاضت عيناه من الدمع وقال لرافع السماء بلا عمد يا امن لا يزول ملكه

ارحم من زال ملكه.

أتـيت القبـور فنـاديتها
فأيـن المعظـم والمحتقـر

وأيـن المذل بسلطانـه
وأين المزكى اذا ما افتخر

تروح وتغدُوا بنات الثرى
فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائلى عن أناس مضوا
أمالك فيما مضى معتبر

ابن آدم

اذكر اثنين وانس اثنين ولا تآمن اثنين على اثنين .. أذكر الله والموت ، وانس احسانك الى الناس واساءة الناس اليك واشكر الله على الايمان والعافية ، ولا تأمن رجلَا على امرأة ولا تأمن امرأة على سر واعلم أن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر وان العمر مهما طال فلا بد من دخول القبر واعلم أن لك قريـن يدخل معك القبر وهو حى وتدخل معه وأنت ميت فان كان كريما أكرمك

وان كان لئيما خذلك .. ما جعله صالحاً فانه عملك واذكر ساعة ان ينقلب عنك الصديق والرفيق والأخ الشقيق والمال والولد والجليس والأنيس وينادى عليك ما لك الملك وملك الملوك ويقول لك يا بن ادم.

رجعوا وتركوك .. وفى التراب دفنوك ولو ظلوا معك ما نفعوك ولم يبق لك الا أنا .. وأنا الحى الذى لا أموت.

سبحانك ربى

أنت الواحد فى ذاتك لا قسيم لك ، الواحد فى صفاتك لا شبيه لك ، الواحد فى أفعالك لا شريك لك خلقتنا فأنت على كل شيء قدير ورزقتنا فأنت أكرم الأكرمين ، وتميتنا فأنت الجبار ذو القوة المتين ـــ وتحيينا فأنت أسرع الحاسبين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين فواجب الخلق أن يوحدوك وهل توحيدك الا افرادك فى العبادة مع اعتقاد وحدتك ذاتاً وصفاتاً وافعالا وهل ينجينا من عقوبتك إلا تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالأركان ، لقد أقمت الأدلة الناطقة بالحق على عظمتك ووحدانيتك ونصبتها فى أرجاء الكون ناطقة بأنها مخلوقة بقدرتك.

قلت وقولك الحق فى سورة النحل «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيبة إلا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون».

هذه أنواع من المخلوقات : اشتملت على فوائد عديدة لها جليل الأثر فى حياة الانسان حتى أن القرآن الكريم لكثرة ما فيها من فوائد اشار الى بعضها ففيها دفء فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وفيها اللحوم التى تؤكل وفيها الركوب على ظهورها وحمل الأثقال التى لا طاقة لنا بحملها وفيها الفوائد المعنوية وهو ذلك الجمال فى رواجها وسروحها وفيها الزينة اذا وقعت العين على رؤيتها واستمعت الأذن الى أصواتها من رغاء وشفاء .. وغير ذلك ولما كانت فوائدها لا تحصى ولا تستقصى فقد أجملها القرآن فى قوله : (ومنافع) ولك بعد ذلك أن تقول فى هذه العبارة ما شئت من ذكر تلك الفوائد مما يطول شرحه ويكثر ذكره .. سبحانك ربى.

عجز اللسان عن الثناء فانه

تتصاغر الأفكار دون مداه

من كان يعرف أنك الحق الذى

بهر العقول فحسبه وكفاه

أما الخيل والبغال والحمير فهذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده ليمن به عليهم وقد ذكرها الله مبينا أنها خلقت للركوب وتذليل الصعاب فى السفر كذلك قرنها بالزينة ففى نظرة العيش اليها بهاء وجلال وكمال وجمال فاذا كانت الأنعام فيها جمال فى رواحها وهى عائدة من المروج الخضر وفيها جمال حين تسرحون بها فى منظرها البديع وروعة خلقتها فان هذا الصنف من الدواب فيه زينة وغنى عن البيان، أما للخيل من منظر خلاب لاسيما وان الاسلام أوصى الاباء أن يعلموا أولادهم السباحة والرماية وركوب الخيل وفى تعبير اخر أن يثبوا على الخيل وثبا. بعد ذلك أخبر العليم الخبير أن وسائل الانتقال ليست مقصورة على هذا النوع من الدواب انما سيكون هناك وسائل متعددة تفوق الخيال فسوف يقطع الانسان كبد الصحراء ولجج الماء ويركب متن الهواء فقال (ويخلق مالا تعلمون).

ونحن نعيش اليوم فى عصر غزو الفضاء والمركبات التى قطعت فى ذلك الشأن شأوا بعيداً وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق الذى علم الانسان ما لم يعلم ومهما بلغت سرعة الوسائل فى النقل فانها تخجل حياءاً أمام أى اية من ايات الله فى هذا الكون الفسيح وهذا الفضاء الرهيب ولنصغ إلى لسان العلم يحدثنا فيقول ان البعد بين الأرض والشمس يبلغ ٩٢٫٨٧٠٫٠٠٠ ميل وهى مسافة كبيرة كما ترون ولكن هذا البعد الكبير ليس إلا جزءا صغيرا من أبعاد تفوقه كثيرا من الأرض والنجوم البعيدة ولكى يصور لنا هذه الأبعاد يلجأ الى طريقة أخرى هى طريقة سرعة الضوء.

فكثيراً ما نلجأ الى تصوير المسافات البعيدة بالسرعة فنقول مثلا ان المسافة بين القاهرة والاسكندرية تبلغ ثلاث ساعات بالقطار وان المسافة بين المنزل والمحطة تبلغ ساعة بالسيارة والسرعة التى سنتخذها وحدة فى تقدير ابعاد الفضاء ليست بالسيارة ولا بالقطار ولا بالطيارة والصواريخ بل هى سرعة الضوء وهى أكبر سرعة معروفة فى العالم وسرعة الضوء هى أيضا سرعة اللاسلكى ولكى نوضح عظمة هذه السرعة أوجه النظر بمقارنتها بسرعة قطار سريع يقطع فى

الساعة ٦٠ ميلا اى بسرعة ميل واحد فى الدقيقة أو جزء من ستين جزء من الميل فى الثانية.

أما الضوء فلا يقطع كسرا من الميل فى الثانية بل يقطع ١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية أى ما يعادل ٣٠٠٫٠٠٠ كيلو متر فى الثانية وهى سرعة عظيمة بلا شك.

وهناك حقيقة أخرى تبين عظمة هذه السرعة وهى أن المسافة بين الشمس والأرض ٩٢٫٨٧٠٫٠٠٠ ميل واشعة الشمس تصل الى الأرض بسرعة الضوء العظيمة فتقطع المسافة بينها فى ٨ دقائق ٩/١٠ ثانية.

ولو حاول الانسان أن يقطع هذه المسافة بطائرة نفاثة سرعتها ٦٠٠ ميل فى الساعة لاستغرق قطعها نحو ١٧ سنة و٦ أشهر وذلك بشرط أن تستمر سرعتها هذه بدون توقف ليل نهار وأين هى الطائرة التى تسير سنوات دون توقف حتى للتزود بالوقود فما أعظم سرعة الضوء وما أبلغ تلك السرعة الضوئية الكونية التى تدل على قدرة الله عز وجل وما أصدق الله تعالى وما أجل شأنه عندما أخبرنا بما سيخلقه مما لا نعلمه وقد خلق من آلات وأدوات الانتقال وما سيخلق فيما سيأتى مما سبق فى علمه ومما يجعلنا نلهج بالثناء

والتوحيد فى محراب قوله تعالى «ويخلق مالا تعلمون».

السـبيل والهدايـة

بعدما قص علينا القران الكريم بأسلوبه الحكيم قصة الثروة الحيوانية فى سورة النحل وبين فوائد الأنعام من دفء ومنافع وأضاف الى تلك الفوائد ما فيها من الجمال حين تريحون وحين تسرحون وقدم الاراحة على السروح لأن الأنعام وهى عائدة تكون اعظم جمالا حيث تكون قد رعت فى المروج الخضر وعادت وضروعها مليئة بالالبان فناسب ذلك أن يقدم (تريحون على تسرحون) ثم ذكر سبحانه وتعالى الدواب وبيّن أن من فوائدها الركوب والانتقال ثم اضاف الى ذلك ما فيها من زينة فى الخيل المسومة وانما اضاف الجمال الى الأنعام واضاف الزينة الى الدواب لأن الجمال أعم من الزينة إذ يشمل ما تقع عليه العين من منظر بديع وما يقع عليه الذوق من مأكل هنىء من لحومها أما الزينة فانها مقصورة على مرأى العين ، اذ الدواب لا تؤكل ولما ذكر سبحانه ان فيما انعم الله عليه من عباده من الثروة الحيوانية ما

يتخذ وسيلة الى الانتقال المحسوس من بلد إلى بلد ومن مكان الى اخر مناسب ذلك ان يذكر عقب ذلك وسيلة الانتقال المعنوى وهو السير على طريق الله، قال سبحانه «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين» ومعنى ذلك أن مشيئة الله جل شأنه قد اقتضت أن يبين سبحانه لعباده السبيل القصد والطريق المستقيم الذى يؤدى الى رضاه وطاعته أى وحق على الله بمقتضى لطفه أن يبين لعباده سبيله المستقيم وأن يدعوهم اليه «يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم» ولطف الله يتبين فى ثلاثة أشياء.

ـ أولا : أنه وهب العباد عقلا يميزون به بين ما يضر وبين ما ينفع.

ـ ثانيا : أنه سبحانه أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ـ ثالثا: أنه أنزل كتبا لمن لم يدرك زمان الأنبياء ولمن أدرك زمنهم «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد».

وبعد ما بين السبيل دعا عباده فقال «وان هذا صراطا مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون» وبين أن من السبيل سبيلا جائرة منحرفة عن طريق الجادة فقال سبحانه (ومنها جائر) وهى التى نهى عنها جل شأنه فى قوله «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وسبيل الله واحدة لأنها سبيل الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال وسبل الضلال كثيرة ولذا جمعها وأفرد سبيل الهداية قال سبحانه «الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور».

فأنت هنا ترى أن الظلمات قد جاءت بصيغة الجمع لعقد أسبابها ووسائل الضلال فيها أما النور فقد جاء بصيغة الافراد لأنه طريق واحد الى الله الواحد والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تحيلو ميلا عظيماً ، ثم ذكر سبحانه بعد ذلك أن مشيئية لا يعجزها شيء ولا يقف أمامها عائق فقال سبحانه (ولو شاء لهداكم أجمعين).

أى لو شاء هدايتكم أجمعين كما قال سبحانه «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» إذن فماذا حدث؟

لقد اقتضت حكمة الله وحجته البالغة ان يكون هناك ثواب وعقاب، ثواب للطائع وعقاب للمسيء وبيّن نور هذا وميزان ذاك أن يكون هناك اختيار للعبد وكسب فى الأفعال فأمره الله تعالى ببيان السبيل وقال «إنا هديناه السبيل أماشاكرا وأما كفورا» بعد ماقال «فجعلناه سميعاً بصيراً» وقال سبحانه وهديناه النجدين أى طريق الخير والشر بعد ما أمره سبحانه بالقوى الفاعلة فقال «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين».

وقال عظمت حكمته «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» بعد ما أرسل له رسولا وأنزل عليه كتابا ووهبه عقلا كالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ووهبه عقلا كالشمس وسنة كالقمر فمن مشى فيهما عاش فى ضوء النهار إذا جلاها ومن حاد عن هديهما تخبط فى ظلمة الليل اذا يغشاها ثم عقب بعد ذكل النفس بقوله «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» فلا يقولن قائل فما تقول فى قوله تعالى «يضل به كثيرا ويهدى به كثيراً لان منطق الحق يقول ان الاضلال والهداية مبنيان على علم الله تعالى وارادته وقدرته بالنسبة لما يعلمه فى العبد قال تعالى «وما يضل به إلا الفاسقين». وقال جل شأنه فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا

يهدى القوم الفاسقين وقال تبارك اسمه «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، وقال عظمت حكمته «واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبع الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون». فهل يلام القضاء والقدر ونترك للنفس هواها ترفع فى ظلمات الشقاء «ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيماً.

ـ يا باغى الخير أبشر

هكذا ينادى مناد من قبل الله تبارك وتعالى إذا جاء رمضان واحتفل به الملأ الملائكى والعالم العلوى واستقبله أهل السماوات بما يليق به من كرامه وحفاوة ففتحت ابواب السماء وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين نادى مناد من قبل الله يا باغى الخير أبشر يا باغى الشر أقصر.

نعم انه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

فرمضان خمسة أحرف، الراء: رمضان رحمة والميم مغفره والضاد ضمان للجنة والألف أمان من النار والنون نور من الرحيم الغفار وإذا رجع العبد العاصى لله سطع نور من السماء والأرض ونادى مناد من قبل الله تعالى أيتها الخلائق هنئوا فلانا فقد اصطلح مع الله.

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا
واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا
فى كل يوم لنا ميت نشيعه
نحيى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس مالى وللأموال اتركها
خلفى واخرج من دنياى عريانا

نعـــم !

ان رمضان شهر الصلح مع الله يذكر الناس وينبه الغافل ويأخذ بيد المتعسر ويهدى السالك إلى صراط الله المستقيم وينادى على كل شادر بلسان الحال اما آن للقلوب ان تخشع. أما آن للأعين أن

تدمع. أما آن للآذان أن تسمع. أما آن للأجساد أن تسجد وان تركع. أما آن للذين يجاهرون الله بالأفطار فى رمضان أن يستحوا فمن يسمع ويرى دبيب أرجل النملة السمراء فوق الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء .. يا أخا الأسلام قم سلسل الدموع حزنا على هذا الحياء الضائع ومزق الضلوع كمدا على هذا الفساد الشائع. ان الله تعالى ينادى فى علياء وكبرياء ويقول «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات».

اتعلم يا أخى ما جزاء من أفطر فى رمضان بغير عذر، اسمع الى سيد الخلق وحبيب الحق يقولها بصراحة واضحة لا مواربه فيه ولا غموض.

عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال «عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثه عليهم أسس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم، شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان» رواه ابو يعلى والديلمى وصححه الذهب.

وعن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال :

«من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة رخصها الله له ، لم

يقضِ عنه صيام الدهر كله وان صامه» رواه ابو داود وابن ماجه والترمذى.

وقال البخارى : ويذكر عن ابى هريره رفعه، من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وان صامه،وبه قال ابن مسعود.

وقال الذهبى : وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض انه شر من الزانى ومدمن الخمر بل يشكون فى اسلامه ويظنون به الزندقه والانحلال.

وقال العلامه ابن حزم: ذنبان لم أر أعظم منهما بعد الشرك بالله رجل أخر الصلاة عامدا حتى خرج وقتها ورجل أفطر يوما من رمضان بغير عذر».

أرأيت يا أخا الأسلام كيف كان الوعيد للذين اتخذوا آيات الله هزوا. أما آن لك ان تقف مستمعا باذن قلبك الى ما قاله رب العزة فى هذا الحديث الجليل.

ومن أراد رضاى أردت ما يريد ومن ترك من اجلى اعطيته فوق المزيد.

لقد جاء رمضان فاقبل على صيامه بنفس راضية وطهر القلب

مما تعلق به من ظلمات الماده وناج ربك بما ناجاه به نبيه ومصطفاه ﷺ الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء خالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقران اعوذ بك من شر كل دابه انت أخذ بناصيتها انت الآول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنى الدين وأغننى من الفقر.

إن الله تعالى يدعوك ان تكون ضيفا على مائدة كرمه وان تكون ربانى القلب ليمنحك هذه الجوائز الغوالى اسمع معى الى هذا الحديث القدسى الجليل.

من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرّب إلى عبدى بشيء احب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وقلبه الذى يعى به ولسانه الذى يتكلم به ولئن سألنى لأعطيته ولئن استعاذ بى لأعيذنه ولئن استنصرنى لأنصرنه ويكون جارى فى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

الا يكفيك هذا الجار الكريم نسأل الله ان يوفقنا بصيام هذا الشهر وقيام ليله.

• فضل الصيام وآدابه :

للصيام عند الله فضل عظيم وبذا يكون الصيام مدرسة اخلاقية تهذب السلوك وتقوم الغرائز ويكفى فى ذلك ان الله تعالى جعل الغاية منه والحكمة تقوى الله قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

والتقوى هى السلاح الأقوى ومحلها الصدر كما اشار النبى ﷺ الى صدره وقال التقوى هاهنا وكما فسرها الامام على كرم الله وجهه فى قوله التقوى هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ولو لم يكن هناك الا هذه المساوى لكفى بها اساتذة فى علم الأخلاق وفى مدرسة الصيام الجوع نهر تسبح فيه الملائكة والشبع بحر تجرى فيه الشياطين لما تمثل ابليس لنبى الله يحيى فسأله نبى الله: هل أجد عندك ما تغوينى به يا عدو الله؟ قال ابليس: لا إلا أن تأكل كثيرا فتشرب كثيرا فتنام عن الصلاة.

قال له نبى الله يحيى: لا أشبع بعد اليوم.

قال له أبليس: وأنا لا أُنصح احداً بعدك أبدا.

إن الصيام عبادة سرية لا يطلع عليها الا من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ومن ثم فقد شرفه الله بنسبته اليه من بين العادات فى حديث جامع قال فيه الصادق المعصوم رواية عن رب العزة «كل عمل ابن ادم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به» والصيام جنه فإذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا افطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه رواه البخارى واللفظ له ومسلم.

وفى رواية للبخارى: يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلى الصيام لى وأنا اجزى به والحسنة بعشر امثالها.

وقد تمتلىء النفس المؤمنة رضا وطمأنينه عندما تقف امام هذا الحديث الذى وضح فيه ثواب الصائمين عند الله من بين فضائل العبادات والأعمال.

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ الاعمال عند الله عز وجل سبع عملان موجبان وعملان بأمثالهما وعمل بعشر امثاله وعمل بسبعمائة وعمل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل فأما الموجبان فمن لقى الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار ومن عمل سيئة جزى بها ومن اراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها ومن عمل حسنة جزى عشرا ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضعفت له نفقته، الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى

وللصوم آداب يستحب للصائم مراعاتها.

١ ــ السحور :

وقد اجمعت الائمة على استحبابه وانه لا اثم على من تركه فعن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: تسحروا فإن فى السحور بركة رواه البخارى ومسلم.

عن المقداد بن معديكرب عن النبى ﷺ قال عليكم بهذا السحور فإنه هو الغذاء المبارك رواه النسائى بسند جيد (وسبب

البركة ان يقوى الصائم وينشطه ويهون عليه الصيام).

ويتحقق السحور بكثير الطعام وقليله ولو بجرعة ماء.

فعن ابى سعيد الخذرى رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «السحور بركة فلا تدعوه ولو ان يجرع أحدكم ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» رواه احمد.

ووقت السحور من منتصف الليل الى طلوع الفجر والمستحب تأخيره.

فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا الى الصلاة. قلت كم كان قدر ما بينهما؟.

قال خمسين آيه رواه البخارى ومسلم.

وعن عمرو بن ميمون قال كان اصحاب محمد ﷺ اعمل الناس افطاراً وأبطأهم سحوراً رواه البيهقى.

وعن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه مرفوعاً «لا تزال امتى بخير واعجلوا الفطر واخروا السحور».

٢ ـ تعجيل الفطـر :

ويستحب للصائم أن يعجل الفطر متى تحقق غروب الشمس.

فعن سهل بن سعد ان النبى ﷺ قال : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» رواه البخارى ومسلم.

وينبغى ان يكون الفطر على رطبـات وترا فإن لم يجد فعلى الماء.

فعن انس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى فإن لم تكن فعلى تمرات فإن لم تكن حسا حسوات من ماء. رواه الترمذى.

وعن سلمان بن عامر ان النبى ﷺ قال اذا كان احدكم صائما فليفطر على التمر فإن لم يجد فعلى الماء فإن الماء طهور رواه احمد والترمذى.

٣ ــ الدعـاء عند الصيـام وفى الصيام

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد وكان عبد الله إذا أفطر يقول اللهم انى أسالك برحمتك التى وسعت كل شىء ان تغفر لى».

وروى الترمذى بسند حسن ان ﷺ قال: «ثلاث لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل والمظلوم».

٤ ــ والصيام عبادة من أفضل القربات شرعه الله تعالى ليهذب

النفس ويعودها الخير فينبغى أن يتحفظ الصائم من الاعمال التى تخدش صومه حتى ينتفع بالصيام وتحصل له التقوى التى ذكرها الله فى قوله «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وليس الصيام مجرد امساك عن الأكل والشرب وانما هو امساك عن الاكل والشرب وسائر ما نهى الله عنه.

فعن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال «ليس الصيام من الأكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إنى صائم إنى صائم». رواه ابن خزيمه وابن حسان والحاكم.

٥ ــ السـواك

يستحب للصائم ان يتسوك اثناء الصيام ولا فرق بين أول النهار وآخره.

قال الترمذى ولم ير الشافعى بالسواك اول النهار وآخره بأسا. وكان النبى ﷺ يتسوك وهو صائم.

٦ ــ الجود ومدارسة القرآن.

روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ اجود الناس وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيتدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ اجود بالخير من الريح المرسله.

٧ ــ الاجتهاد فى العباده فى العشر الأواخر من رمضان.

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ كان إذا دخل العشر الآواخر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المئزر وفى روايه لمسلم كان يجتهد فى العشر الآواخر مالا يجتهد فى غيره.

وروى الترمذى وصححه عن على رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله فى العشر الآواخر ويرفع المئزر».

ولله فى العشر الأواخر ليلة

لقد عظمت قدرا كما ملئت خيرا

فطوبى لقوم ادركوها وشاهدوا

تنزل املاك السما آيه كبرى

اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا .... وركوعنا وسجودنا
واجعلنا من عتقائك من النار ... ومن المقبولين إليك
يا رب العالمين

● وكان وعد ربى حقا

لما هاجر النبى ﷺ من مكة وبينما هو فى طريقه الى دار الهجرة توجه الى مكه يلقى عليها نظرات الوداع وقال بلسان الحنين والله انك لخير ارض الله واحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومك اخرجونى منك ما خرجت.

هنالك هبط سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بقول الله جل شأنه.

«ان الذى فرض عليه القرآن لرادك الى معاد» قال جماعة من المفسرين المراد بقوله تعالى الى معاد أى الى مكة إو الى مولدك والمؤدى واحد وقد صدق الله وعده ففى شهر رمضان المبارك وفي العام الثامن من الهجرة كان الوعد الحق فبعدما وقع النبى ﷺ هدنة الحديبية وعاد الى المدينة مرفوع الرأس موفور الكرامه كان الوحى يتقاطر عليه نورا. ورحمة غضا نديا «انا فتحنا لك فتحا مبينا».

ففى رمضان كان الفتح العظيم ولم يكن مقصورا على الفتح وحده بل كان فتحا ومغفرة واتماما للنعمة وهداية الى الصراط المستقيم ونصرا عزيزاً «انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزاً».

هذا هو الفضل الإلهى على مبعوث العناية اما من معه من المؤمنين فقد كان لهم من الله منحة لا تسامى انها نعمة السكينة التى تؤدى إلى زيادة الإيمان وكفى بزيادة الايمان فضلا».
«هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما».

هذا فى الدنيا اما فى الآخرة ففضل واكرام وجنات «ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما».

هذا عن أحبائه أما عن أعدائه فيقول عنهم الحكيم العليم «ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم

وساءت مصيرا».

ولما كانت هذه الصورة فتحاً مبيناً ونصراً عزيزاً فإن النصر يقتضى الجنود ولابد للحق من قوى تسانده، قال تعالى بعد ذلك «ولله جنود السموٰات والأرض وكان الله عزيزاً حكيما» أما أنت يا محمد فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا.

سـيدى أبا القاسـم يا رسول الله

أنت الذى قاد الجيوش محطماً
عهد الضلال وأدب السفهاء
وسموت بالبشر الذين تعلموا
سنن الشريعة فارتقوا سعداء
سعدت بطلعتك السماوات العلا
والأرض صارت جنة خضراء

فما قصـة الفتح؟ إنها درس عندما يحدثنا التاريخ عنه يجثوا على ركبته وعندما تتكلم الدنيا عن رسول الله تتمرغ تحت قدميه.

وها هى ذى حقائق التاريخ تحدثنا بلسان اليقين ومنطق الحق المبين ليكون فيها دروس للمسلمين فى هذه الآونة الحاسمة.

لقد أتاحت هدنه الحديبية للمسلمين القضاء على اليهود عسكرياً فى المدينة وخارجها. كما لهم السيطرة على القبائل فى شمال المدينة حتى حدود العراق والشام وأنتشر الاسلام بين القبائل العربية كلها فأصبح المسلمون قوة لا تدانيها أى قوة فى بلاد العرب.

ولم يبـق أمام المسلمين إلا فتح مكة تلك المدينة المقدسة التى انتشر الإسلام فيها أيضاً وما أسهل فتحها على المسلمين لولا عهد الحديبية الذى يحرص على الوفاء به الرسول ﷺ.

ولقد أدى انتشار الإسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش وبقاء القسم الآخر على الشرك الى تفرق كلمتها واستحاله جمع هذه الكلمة على حرب المسلمين. ولم يبق فى قريش زعيم مسيطر يستطيع توجيهها إلى ما يريد حين يريد: المسلمون فيها لا يخضعـون إلا لاوامر الإســلام والمشركين فيها بين متطرف يدعو للحرب مهما تكن نتائجها ومعتدل يعتبر الحرب كارثة محققة لقريش.

• إعــلان الحــرب :

سار عمر بن سالم الخزاعى بالتوجه إلى المدينة حاملًا أخبار نقض قريش وبنى بكر لعهد الحديبية فلما وصلها قصد المسجد وقص على الرسول ﷺ ما أصاب خزاعه من بنى بكر وقريش فى مكه وخارجها فأجابه الرسول ﷺ «نصرت يا عمرو بن سالم».

وخرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعه حتى قدموا المدينة فأخبروا النبى ﷺ بما أصابهم.

فعزم الرسول ﷺ على فتح مكة ولقد قرروا معتدلوا قريش وعقلاؤهم ماذا يعنى انتهاء الهدنة بينهم وبين المسلمين فقرروا إيفاد أبى سفيان إلى المدينة للتشبت بتثبيت العهد وإطالة مدته.

ولما وصل أبو سفيان (عسفان) فى طريقة إلى المدينة رأى بديل بن ورقاء وأصحابه عائدين من المدينة فخاف أن يكونوا قد جاءوا محمد رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث مما يزيد مهمته التى جاء من أجلها تعقيدا ان بديلا نعنى مقابلته النبى ﷺ ولكن أبا سفيان عرف من فضلات راحلته التى فيها نوى التمر أنه كان فى

المدينة ووصل أبو سفيان الى المدينة فقصد دار ابنته أم حبيبه زوج الرسول ﷺ واراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه وقال لها يا بنيه ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى «قالت بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس والله لا يجلس عدو الله على فراش حبيب الله. فقال أبو سفيان والله لقد أصابك بعدى شر. فإنظر إلى قوة اليقين ومنطق الحق المبين وثبات العقيدة والحافظ على المبدأ .. إنه الإسلام متمثلًا فى أم المؤمنين رمله بنت أبى سفيان فماذا بعد هذا؟

لا يخلف الله وعده :

ما أعظم الموفين بعهد الله قال جل شأنه انما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.

وما اشقى الناقضين العهد الناكثين الوعد قال جل شأنه «والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنه ولهم سوء الدار».

ومن ثم فقد قيل ثلاثا إذا كن لك كن عليك البغى والمكر والنكث.

قال تعالى «يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم».
وقال سبحانه «ولا يحيق المكر السيء الا بأهله».
وقال «فمن نكث فانما ينكث على نفسه».
نقضت قريش معاهدة الحديبية وهى الهدنة التى ابرمتها مع رسول الله ﷺ وعزم الرسول على فتح مكة وترامت الانباء الى قريش بما جعل زعيمها ابا سفيان يتوجه الى المدينة يستشفع لدى رسول الله ﷺ فماذا حدث؟

قالت حقائق التاريخ.
ووصل ابو سفيان الى المدينة فقصد دار ابنته أم حبيبة زوج الرسول ﷺ وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه فقال لها يا بنيه ما أدرى ارغبت بى عن الفراش أم رغبت به عنى.
قالت : بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس.
قال ابو سفيان : والله لقد اصابك بعدى شر».
واستشفع ابو سفيان بابى بكر ليكلم الرسول ﷺ فأبى واستشفع بعمر بن الخطاب فأغلظه فى الرد وقال أأنا اشفع لكم عند رسول الله ﷺ والله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به.

ودخل ابو سفيان على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة فرد عليه عليٌ قائلا:

والله يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

واستشفع ابو سفيان بفاطمه بنت النبي ﷺ أن يجير ابنها الحسن بين الناس فقالت : يا يجير احد على رسول الله ﷺ.

فاستنصح ابو سفيان عليا بعد أن اشتدت عليه الامور فنصحه ان يعود من حيث أتى فقفل ابو سفيان عائدا الى قريش ليخبرهم بما لقي من صدود ولم يبق هناك شك في اعلان الحرب.

أمر الرسول ﷺ اصحابه بانجاز استعداداتهم للحركة ايضا كما امر أهله ان يجهزوه ولكنه لم يخبر احداً بنواياه الحقيقية ولا باتجاه حركته بل اخفى هذه النوايا حتى لأقرب الناس اليه ثم ارسل سرية ابي قتادة الانصاري الى بطن اصم ليزيد من اسدال الستال الكثيف على نواياه الحقيقية.

دخل ابو بكر على ابنته عائشه زوج النبي ﷺ وهي تهيء جهاز رسول الله ﷺ فقال لها أي بنيه أأمركم رسول الله ﷺ أن

تجهزوه .. قالت نعم .. فتجهز .. قال فأين ترينه يريد؟. قالت: والله لا أدرى.

ولما اقترب موعد الحركة صرح الرسول ﷺ بانه سائر الى مكه وبث عيونه ليحول دون وصول ابناء حركته الى قريش ولكن حاطب بن أبى بلتعه كتب رسالة اعطاها امرأة متوجهة إلى مكة يخبرهم فيها بنيات المسلمين فعلم الرسول ﷺ بهذه الرسالة وبعث على بن ابى طالب والزبير بن العوام ليدركا المرأة ويأخذا تلك الرسالة منها فأدركاها وأخذا الرسالة التى كانت معها.

ودعا رسول الله ﷺ حاطب يسأله ما حمله على ذلك قال: يا رسول الله اما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكن كنت امرا ليس له فى القوم من اهل ولا عشيرة وكان لى بين اظهرهم ولد واهل فصانعتهم عليهم.

وقال عمر بن الخطاب «يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق.

قال الرسول ﷺ اما انه قد صدقكم وما يدريك لعل الله قد

اطلع على من شهد بدراً .. فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
لقد شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد فعفا عنه الرسول ﷺ
وأمر المسلمين ان يذكروه بافضل ما فيه.

ومعاذ الله أن يكون لموقف حاطب أثر سيء فى قلوب المسلمين
فان الله تعالى اطلع على قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير
قلوب العباد فاختاره لرسالته.

ثم اطلع على قلوب العباد بعده فوجد قلوب اصحابه خير قلوب
العباد فاختارهم لصحبته لكن موقف حاطب درس لابد أن يستفيد
منه المسلمون جميعا وهل كانت غزوة أحد الا درسا دفع المسلمون
ثمنه غاليا ومن ثم فقد أبدى حاطب عذره وبين سريرة نفسه وقبل
الرسول منه العذر لماضيه المشرف ومواقفه المجيدة فلكل عالم هفوة
ولكل جواد كبوه والمعصوم هو رسول الله ﷺ ولقد بين الله هذا
الدرس حتى يكون فيه العبرة للاجيال جميعا.

قال تعالى فى هذا الدرس:

«يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم
بالمودةوقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون

اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يشفعوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم ايدهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير.

النصــر المبيــن

تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما انعمت به علينا وأوليت نستغفرك اللهم من كل ذنب ونتوب اليك.

احمدك على حلمك بعد علمك وعلى عفوك بعد قدرتك انت الذى مننت على المسلمين بقولك (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) فأنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق.

لقد استعد الرسول ﷺ لفتح مكة فكان مثال القائد الملتزم بأصول الأخلاق فى الحرب كما كان فى السلم.

يا رسول الله :

يا من له الاخلاق ما تهوى العلا

منها وما يتعشق الكبراء

زانتك فى الخلق العظيم شمائل
يغـرى بهن ويولـع الكرمـاء
الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

ـــ فكيف سارت الأحداث الى مكة؟

كان المسلمون (عشرة آلاف رجل) بقيادة الرسول ﷺ وكانت قريش وبنو بكر كل قبيلة لها قائد خاص ترك المسلمون المدينة فى (رمضان) من السنة الثانية للهجرة قاصدين فتح مكة وكان جيش المسلمين مؤلفا من الأنصار والمهاجرين وسليم ومزينة وغطفان وغفار وأسلم وطوائف من قيس وأسد وتميم وغيرهم من القبائل الأخرى فى عدد وعدد لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل وكلما تقدم الجيش نحو هدفه ازداد عدده بانضمام مسلمى القبائل التى تسكن على جانبى الطريق إليه ..

ومع كثافة هذا الجيش وقوته وأهميته فقد بقى سر حركته مكتوماً لا تعرف قريش عنه شيئاً إذ مع إعتقاد قريش بأن محمداً ﷺ فى حل من مهاجمتها ولكن لم تكن تعرف متى وأين وكيف سيجرى

الهجوم المتوقع ولشعور قريش بالخطر المحدق بها أسرع كثير من رجالها بالخروج إلى المسلمين لاعلان اسلامهم فصادف بعض هؤلاء ومنهم (العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ) جيش المسلمين فى طريقة إلى مكة.

وصل الجيش مساء موضع (مر الظهران) على مسافة أربع فراسخ من مكة فعسكر هناك وأمر الرسول ﷺ أن يوقد كل مسلم ناراً حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويته فيؤثر ذلك على معنوياتها وتستسلم للمسملين دون قتال وبذلك يؤمن الرسول ﷺ هدفه فى دخول مكة دون إراقة الدماء ..

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفـــاء

وأوقد عشرة آلاف مسلم نيرانهم ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد فأسرع (ابو سفيان ابن حرب) وبديل بن ورقاء وحكيم بن خزام بالخروج باتجاه النار حتى يعرفوا مصدرها ونوايا أصحابها وأهدافهم فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين قال أبو سفيان

لصاحبه بديل : «ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً» فرد عليه بديل بن ورقاء: «هذه والله خزاعة حمشتها الحرب» فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الرد فقال : «خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها» وكان العباس عم النبى ﷺ قد خرج من معسكر المسلمين راكبا بغلة الرسول ﷺ ليخبر قريشاً بالجيش الضخم الذى جاء لقتالها والذى لا قبل لها به حتى يؤثر على معنوياتا ويضطر للتسليم دون قتال فيحقن بذلك دمائها ويؤمن لها صلحاً شريفاً ويخلصها من معركة فاشلة معروفة النتائج سلفاً لا يمكنه أن تثيرها غير العصبية الجاهلية فسمع وهو فى طريقه حديث أبى سفيان فناداه وأخبره بوصول جيش المسلمين ونصحه بأن يلجأ إلى الرسول ﷺ حتى ينظر فى أمره قبل أن يدخل الجيش مكة صباح غد فيحيق به ويقومه العقاب ..

أردف العباس ابا سفيان على بغلة الرسول ﷺ وتوجها نحو معكسر المسلمين فلما وصل العباس المعسكر ودخله وأخذ يمر بنيران الجيش فى طريقة الى خيمة الرسول ﷺ رآه المسلمون فلم ينكروا شيئاً لأنهم عرفوا العباس فلما مر العباس بنار (عمر بن الخطاب) عرف ابو سفيان وادرك ابن العباس يريد أن يجيره فاسرع

عمر الى خيمة النبى ﷺ وطلب منه أن يأمره بضرب عنق أبى سفيان ولكن الرسول ﷺ طلب من عمه أن يأخذ أبا سفيان الى خيمته ويحضره اليه فى الصباح فلما كان الصباح وجىء بأبى سفيان إلى النبى ﷺ ليحقن دمه ..

فقال العباس: يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً.

قال الرسول ﷺ : نعم (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن).

يا رسول الله من اعطاك الحكمة وفصل الخطاب فقد ملأت العالم حكمة وكمالا وغرست فيه خلقا وادبا وجلالا بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة ومحوت الظلمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ورسولا عن قومه فلا حرمنا الله اجرك ولا فتنا بعدك.

● الله أكـبر .. نصر عبده

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون».

النصر نعمة كبرى من نعم الله تعالى على المؤمنين والتثبيت بعد النصر لا يقل فى الفضل عن نعمة النصر ومن ثم قال تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فقد جاء التثبيت بعد النصر لا قبله لأن النصر قد يورث الغرور فى النفس والغرور مقبرة النجاح اما التثبيت بعد النصر فيورث القوة والحزم والاتزان وكلها عوامل تؤدى من نصر الى نصر وتحيط الامة باسوار منيعة لا يستطيع الفشل أن يقتحمها.

ولما كنا بصدد الحديث عن الفتح الاعظم فقد رأى الرسول ﷺ بتوفيق الله تعالى أن يلقن قريشا درسا قبل أن يدخل الى مكة حتى لا تسول لأحدهم نفسه ان يعتدى على حصون المسلمين الحصينة فأمر الجيش أن يستعرض كتائب التوحيد امام الرءوس العنيدة التى طالما ناصبت الاسلام العداء.

نعم اراد الرسول بثاقب فكره وصائب رأيه وعميق فهمه ونفاذ بصيرته ان يستوثق من سير الأمور كما يجب بعيدا عن وقوع الحرب فاوصى العباس باحتجاز ابى سفيان فى مضيق الوادى عند مدخل الجبل الى مكة حتى يستعرض الجيش الزاحف كله فلا تبقى فى نفسه اية نكره للمقاومة.

ـ قال العباس : خرجت بابى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى حيث امرنى رسول الله ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة.

ـ قال : يا عباس من هؤلاء.

ـ فأقول : سليم.

ـ فيقول : مالى ولسليم.

ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء .. فأقول: مزينة فيقول: مالى ولمزينه حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا وسألنى عنها فإذا اخبرته قال مالى ولبنى فلان.

حتى مر الرسول ﷺ فى كتيبة الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء.

ـ قلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والانصار.

ـ قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفصل لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما.

ـ قال العباس يا ابا سفيان انها النبوة .. قال نعم عند ذاك قال العباس لابى سفيان : النجاء الى قومك فاسرع ابو سفيان الى مكة.

وقبل دخول المسلمين مكة دخل ابو سفيان مبهوراً مذعوراً وهو يحس ان من ورائه اعصارا إذا انطلق اجتاح قريشا وقضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمة بعده ابدا.

ورأى أهل مكة قوات المسلمين تقترب منهم ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرروا قرارا حاسما ولا اتخذوا تدابير القتال الضرورية فاجتمعوا الى ساداتهم ينتظرون الرأى الأخير فإذا بصوت ابى سفيان ينطلق بينهم مجلجلا حازما.

يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار ابى سفيان فهو آمن.

ـــ دهشت امرأة ابى سفيان هند بنت عقبه التى كانت تشايع المتطرفين من مشركى قريش فى عداوتهم للمسلمين وهى تسمع من زوجها هذا الكلام فوثبت اليه واخذت بشاربه تلويه وصاحت :

ـــ اقتلوا الحميت الدسم الاحمس أى هذا الزق المنتفخ قبح من طليعة قوم أى الذى يتقدمهم أو يحرسهم.

ـــ ولم يكترث ابو سفيان لسباب امرأته فعاود تحذيره «ويلكم لا تغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاءكم مالا قبل لكم به فمن دخل دار ابى سفيان فهو آمن».

— قالت قريش : قاتلك الله وما تغنى عنا دارك.

— قال : ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن.

واصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين، اختفى الرجال وراء الأبواب الموصدة واجتمع بعضم فى المسجد الحرام وبقى المتطرفون مصرين على القتال.

وكان مجمل خطة الرسول ﷺ لدخول مكة ما يلى :

الميسرة : بقيادة الزبير بن العوام واجبها دخول مكة من شمالها.

الميمنة : بقيادة خالد بن الوليد واجبها دخول مكة من جنوبها.

قوات الانصار : بقيادة سعد بن ابى عبادة واجبها دخول مكة من الغرب.

قوات المهاجرين : بقيادة ابى عبيدة بن الجراح واجبها دخول مكة من الشمال الغربى من اتجاه جبل هند.

كانت اوامر الرسول ﷺ لقواده بألا يقاتلوا إلا إذا اضطروا إلى القتال حتى يتم فتح مكة سلميا وبدون قتال وقبل الشروع فى دخول مكة سمع بعض المسلمين سعد بن عبادة يقول اليوم يوم

الملحمة اليوم تستحل الحرمه فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: بل اليوم يوم المرحمة ، لذلك رأى ﷺ حين بلغه ما قال سعد أن يأخذ الراية منه وأن يدفعها الى ابنه قيس بن سعد فقد كان قيس اهدأ أعصابا من ابيه وأكثر سيطرة على نفسه حتى يحول دون اندفاع سعد لاثارة الحرب.

دخلت قوات المسلمين مكة فلم تلق مقاومة إلا جيش خالد بن الوليد فقد تجمع متطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بنى بكر فى منطقة الخندقة فلما وصلتها قطاعات خالد امطروها بوابل من نبالهم لكن خالدا لم يلبث ان مزقهم ولم يقتل من رجاله الا اثنان ضلا طريقهما وانفصلا عنه ولم يلبث صفوان ابن اميه وسهيل بن عمرو وعكرمه بن ابى جهل حين رأوا الدائرة تدور عليهم ان تركوا مواضعهم فى الخندقه وفروا مع قواتهم واستسلمت المدينة المقدسة للمسلمين وفتحت ابوابها لهم.

الله اكبر .. ان دين محمد وكتابه اقوى واقوم قيلا ، الحمد لله .. صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

• إلى مكـة المكـرمة

تباركت ربنا وتعاليت حيث قلت «ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبــار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنه الله التى قد خلت من قبل ولن تجد سنة الله تبديلا.

وهكذا سارت احداث الفتح العظيم بقيادة الرسول القائد ﷺ فقد عسكر ﷺ فى منطقة جبل هند بعد أن سيطرت قواته على جميع مداخل مكة فلا استراحت وتجمعت ارتاله نهض والمهاجرون والانصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد الحرام فأقبل الى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت العتيق وحول البيت وكان فى الكعبة ستون وثلاثمائة صنم اخذ يطعنها بالقوس وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد.

هكذا كان قواد الجيش يبدءون أعمالهم دائما فى الفتوح بالتقرب الى الله تعالى .. قال عمر بن الى وقاص قائد الجيش الى القادسيه ما نصه .. يا سعد انى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله افضل العدة على العدو واقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا

من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش اعوان عليه من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قولا لأن عدونا ليس كعدوهم وعدتنا ليست كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة وان لم ننصر عليهم بفضلنا عليهم فى الطاعة لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظه من الله يعلمون ما تفعلون.

دعا رسول الله ﷺ يوم الفتح عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها فرأى الصور تملؤها ومن بينها صورتان لابراهيم واسماعيل يستقسمان بالازلام فمحا مافى الكعبة من صور ثم صلى ودار فى البيت يكبر ولما انهى تطهير البيت من الاصنام والصور وقف على باب الكعبة وقريش تنظر ماذا يصنع فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده. الا كل مأثرة أو مال فهو تحت قدمى هاتين الا سدانه البيت وسقاية الحاج.

يا معشر قريش .. ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم

عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير».

يا معشر قريش .. ما ترون انى فاعل بكم .. قالوا: خيرا اخ كريم وابن اخ كريم .. قال : فانى اقول كما قال يوسف عليه السلام لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء.

وهكذا وقف التاريخ يستروح انفاسه يسجل عظمة الرسول القائد الذى انتصر فكان العفو الشامل عن قوم ناصبوه العداء احدى وعشرين سنة من يوم رفع الله لواء التوحيد الى يوم الفتح.

ما اجمل العفو عند المقدرة
واذا عفوت فقادرا ومقدار
لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا أخذت العهد أو اعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء

امر النبى ﷺ بلالا أن يصعد فيؤذن .. وقال قوم من قريش أخذتهم العزة بالاثم والكبرياء الكاذبة «الم يجد محمد غير هذا الغراب فيؤذن لنا واخبر الوحى بما حدث فجمعهم الرسول وقرأ عليهم قوله جل شأنه.

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير».

نعم يا رب العزة فالتقوى هى السلاح الأقوى.

الناس من جهة التصوير اكفاء
ابوهـــــم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم فى اصلهم شرف
يتفاخرون به فالطين والماء

كيف يتكبر ابن آدم وهو حفنة من تراب تداس بالاقدام.

طهر المسلمون البيت من الأصنام وأتم محمد ﷺ فى أول يوم فتح مكة ما دعا اليه من عشرين سنة،أتم تحطيم الاصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام بمشهد من قريش وأقام محمد ﷺ بمكة خمسة عشر يوما فنظم خلالها شئون مكة وفقه اهلها فى الدين وارسل بعض المفارز للدعوة للاسلام ولتحطيم الأصنام من غير سفك للدماء.

وهكذا تتجلى صور العفو عند المقدرة فصاحب القلب العظيم لا يعرف التشفى بل الصبر عند البلاء ويرضى بالقضاء ويشكر فى السراء ولا يعرف الشماته بالاعداء بل يضع نصب عينيه قول الله

تبارك وتعالى «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم».

● حديث عن الحج :

«واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق».

لما قال ابراهيم اذن فى الناس بالحج قال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتى.

قال له الحق جل جلاله يا ابراهيم عليك الآذان وعلينا الابلاغ.

فصعد ابراهيم على جبل ابى قبيس ونادى : «ايها الناس إن ربكم بنى بيتا فحجوه».

فاجابته الأرواح فى عالم الغيب الامين لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

واعجب معى لصيغة التلبية انها توحيد خالص يدل على افراد العبودية لله جل فى علاه مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وافعالا ومن فضل الله تعالى على حجاج بيت الله من مات منهم محرما

بعث يوم القيامه ملبيا ولا بد من سؤال يطرح نفسه فى هذا المقام لماذا شرعت التلبية فى الحج ذلك لان الحج توحيد خالص وتفريغ القلب مما سوى الله تعالى.

سبحانك ربى ..

اری الناس افواجا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الانساب فيها تفاوت
لديك والاقدار مختلفات

نعم شرعت التلبية ايذانا واعلاما بأن الحج توحيد واخلاص فليس فى الطواف بالبيت أى شائبة تعكر صفو التوحيد كما زعم الملاحدة المعاندون وهل كان الطواف إلا بأمر من الله الواحد وهل هو الا حول بيته العتيق وهل نحن الا جزء من هذا الكون الذى يسبح فى السماء والماء فإذا كنا نطوف بالبيت فى كوكبنا هذا فإن الملائكة تطوف بالبيت المعمور فوق السماء السابعة والافلاك وعالم النجوم كلها فى طواف دائم كل قد علم صلاته وتسبيحه ان طوافنا بالبيت انما هو محض امتثال لأمر الله الخالق الأعلى وهل تقبيل الحجر الا تسجيل لاسمائنا فى سجل التشريفات الالاهية وامتثال

كامل واتباع مطلق لما امرنا به الاسلام.

ولله در الفاروق عمر عندما قال وهو يقبل الحجر (انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك).

وانه اتباع وطاعة وسمع ووفاء وولاء وانقياد واذعان وتفويض وتسليم لأمر مالك الملك وملك الملوك ،وهل الشرب من ماء زمزم إلا اشارة قوية الدلالة على ان هذا الاسلام يحب الحياة الصافية المليئة بالرى والماء الزلال ويرفض الحياة الظالمة القاتمة المليئة بالشرور والآثام ومن ثم قال رسول الله ﷺ.

«ماء زمزم لما شرب له».

وقد قال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه وهو يشرب من ماء زمزم.

«اللهم إن نبيك محمداً قال ماء زمزم لما شرب له وانا اشرب بنية ان تزيل عنى الظمأ يوم القيامة».

انها دعوة مباركة من ابن المبارك.

وفى ماء زمزم يقول المصطفى ﷺ «ماء زمزم شفاء بلا سقام».

وقد دعا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو يشرب منها بهذه الدعوة المأثورة.

اللهم إنى اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاءً من كل داء.

انها طعام طعم وشفاء سقم واشباع لكل جائع وهى سقيا اسماعيل وركضة جبريل.

وزمزم تجرى بين عينيك أعينا
من الكوثر المعسول منفجرات
لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والشرفات

وهل السعى بين الصفاء والمروة الا درس صريح يمليه الأسلام على العالم بأن الحياة عمل وجهاد وعرق فمن بات كالا من عمل يده بات مغفورا له.

هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور.

وهل سعت هاجر ام اسماعيل بين الصفا والمروة الا لما ارادت الماء لها ولوليدها وهل هبط جبريل وضرب الأرض بقدمه فنبعت عين زمزم الا لما تقاطر العرق من جبين هاجر بعد ان طافت سبع مرات

بحثا وراء الماء تصعد فوق الصفا والمروة وتنظر على مدى البصر هل هناك ماء يروى وليدها ان السعى بينهما من شعائر الله «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم».

إن الاسلام العظيم يدعو الى العمل والجهاد وقد قال الله تعالى عقب الأمر بالسعى إلى الجمعه «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون».

وقال النبى ﷺ إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال واثنى على نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده.

ونهى عن الاحتكار والاستغلال فقال «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون».

وقال من احتكر اربعين يوما يريد الغلاء فقد برىء من الله وبرىء الله منه».

«يا ايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين».

• حـدث يوم الفتــح

«ممن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين» .. بين أكاليل الزهور وتيجان السرور وكنوز الدر المنثور وقف التاريخ يستروح انفاسه ويسجل بمداد الفخار هذا المشهد المهيب وهذا المقام المحمود وذلك اللواء المعقود وذاك اليوم المشهود يوم وقف الرسول القائد بين أهل مكة وقد نصره الله نصرا عزيزا مؤزرا وسألهم هذا السؤال الرهيب :

«يا أهل مكــة ما تظنون إنى فاعــل بكم».

وعلى وجه السرعة قالوا خيرا .. اخ كريم وابن اخ كريم.

وقال الرسول القائد كلمة حق اصبحت مثلا واصبح الجيل بعد الجيل يرويها.

«اذهبوا فانتم الطلقاء ، أقول لكم كما قال أخى يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين.

اتدرى من هؤلاء الذين اصدر الرسول قراره بالعفو عنهم انهم قوم ناصبوه العداء طيلة احدى وعشرين سنه من يوم أعلن كلمة التوحيد فى قلعة الاصنام ومن يوم خرج من غار حراء وكلمته تحارب من هؤلاء لقد جن جنونهم وثارت ثورتهم وقالوا اجعل الآلهة

الها واحدا ان هذا لشيء عجاب.

وأى عجب فى هذا إنك لو سألت العالم من عرشه إلى فرشه ومن سمائه إلى أرضه وقلت له من خالقك لاجابك بلسان الحال والقال: انا مخلوق للواحد الديان.

تأمل فى نبات الأرض وانظر الى آثار ماصنع المليك عيون من لجين شاخصات بابصارهن الذهب السبيك على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك لقد بلغ من عنادهم واستكبارهم على الحق واصرارهم على الباطل انهم صدوا المسلمين وعلى رأسهم قائدهم الأعظم الرسول الكريم صدوهم عن دخول مكة لأداء العمرة فى العام السادس من الهجرة وارسل الرسول اليهم عثمان بن عفان مفاوضا فتغيب عثمان بينهم وظن المسلمون انهم قد اوقعوا به شرا فجلسوا تحت الشجرة على الجهاد ان كان عثمان قد اصيب بسوء وفى هذه البيعة يقول سبحانه لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا.

لقد سميت هذه البيعة بيعة الرضوان وحسبك ان يرضى الله عنك فهذه نعمة لا تدانيها نعمة حتى قال أحد الصالحين.

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذين فوق التراب تراب

وما لبث عثمان ان عاد سالما ترفرف على رأسه رايات السكينة.

فقارن بين هذه البيعة وبين موقف المشركين المعاندين الذين وصفهم الله فى قوله :

«هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما».

وحضر سهيل بن عمرو مندوبا عن المشركين ووقع مع الرسول القائد معاهدة الحديبية وهى هدنة تضع الحرب فيها اوزارها لمدة سنتين اثنتين وعاد الرسول الى المدينة مرفوع الرأس موفور الكرامة لأن الله اعلمه بانه داخل مكة ظافرا منتصرا «ان الذى فرض عليك

القرآن لرادك الى معاد».

وفى العام السابع من الهجرة تحقق قول الله جل شأنه.

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا «هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا».

حقا ان العاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين.

فلو علمت مدى تعنت هؤلاء الجاحدين فى معاهدة الحديبية لوليت منهم فرارا وملئت من ظلمهم رعبا،استمع الى قول الله جل وعلا يصف حالهم وقتها.

«إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما».

ان هذا تحقيق لوعد الله.

ففى العام الثامن من الهجرة تحقق قوله جل شأنه «وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطـن مكه من بعد أن اظفركم

عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا».

فلقد انجز الله وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده.

فالله اكبر ولا أجد قبله ولا بعده وهكذا تمت كلمة ربك الحسنى على هذه الجماعة التى جمع الله اوصافها فى آية كريمة قال فيها سبحانه وتعالى «محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما».

ـ ابواب الرحمة

لما امر الله تعالى ابراهيم بقوله وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود كان لذلك حكمة بالغة بينها الرسول الكريم فى قوله «إن الله ينزل على حجاج بيته كل يوم عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين واربعين للمصلين وعشرين للناظرين».

فإذا كان مجرد النظر إلى البيت الحرام عبادة فما اعظم من رحمة الله وما أجل فضله ومن ثم فإن ابواب السماء تفتح بالقبول فى أربعة مواضع.

عن رؤية الكعبة شرفها الله.

وعند نزول الغيث.

وعند التحام الصفوف قتالا فى سبيل الله.

فالحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يخشى فناء ولا زوالا له ما فى السماوات وما فى الأرض شهود على عظمته لا يجد العقل له شبيها ولا مثالا من ذا الذى يشفع عنه الا بإذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وفوقا وتحتا ويمينا وشمالا ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ولا يدرك احد لكنهه مثالا وسع كرسيه السماوات والأرض وكل يبدى من هيبته خوفا واجلالا ولا يؤوده حفظهما وان كانا ثقالا وهو العليم العظيم الذى تعاظم عزا واجلالا.

جل ربى فى عزة قد تعالى

وسما قدره فعــــز منــــالا

احد ما جد كريم عظيم
ليس يخشى على الدوام زوالا
جل عن مشبه له ونظير
ليس تحصى له العقول مثالا

فسبحانه من اله افترض حج بيته الحرام على عباده فشدوا اليه رحالا دعاهم لقربه فما استبعدوا فى حبه بعيداً ولا استهولوا اهوالا سار بهم الدليل فكيف يضلون السبيل ووجوههم فى ظلام الليل تتلألأ.

غريب ان يقال بعد هذا التوحيد الخالص ان فى الحج شيئا من الوثنية لا يقول هذا الا كل افاك اثيم وشيطان رجيم وملحد عنيد مريد.

اى وثنية فى الوقوف بعرفات وهو ركن الحج الاعظم وقد اجتمعت الملايين من البشر فى ثياب واحدة تجردوا فيها من المخيط فالرؤوس عارية والاجسام إذا رأيتها خيل إليك أنها بعثت من الاموات ونشرت فى صعيد القيامة فلا ملك ولا مملوك ولا سيد ولا عبد ولا عظيم ولا حقير ولا غنى ولا فقير ولا وزير ولا صغير الكل يردد نداء واحدا ودعاء قد دعته القلوب الملك واحد لا شريك له.

تحرروا من عبادة الفرد وعبادة الدنيا والمال تحرروا من الأصنام على مختلف اشكالها بشرية وغير بشرية لم تجمعهم إجهزة الاعلام ولم توزع عليهم تذاكر الدعوة أو المكافآت ولم يساقوا سوق القطيع وقد امتلأت قلوبهم نفاقا ورياء انما جمعتهم دعوة الخليل ابراهيم «فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

دعاؤهم واحد لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

قال رجل لابن عباس وقد سمعه يردد هذا الذكر الحكيم لماذا لا تدعو الله يوم عرفه.

قال ابن عباس لأن الله تعالى يقول فى الحديث القدس الجليل من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته أفضل ما اعطى السائلين.

فأى وثنية وقد تحرر هؤلاء من كل الوثنيات العاتية وعبادة الطواغيت من الدنيا ومتاعها وزخارفها وطغيانها.

الى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله فى عرفات
ويوم تولى وجهة البيت ناظرا
وسيما مكان البشر والقسمات
لدى الباب جبريل الامين براحة
رسائـل رحمانيـة النفحـــات

عبد الحميد كشــك

طبع بمطابع المرزة بالأسكندرية
تليفون : ٤٣٠١٣٤٨ — ٤٣٠١٣٤٩